

ادعاء وقوع السرقة من يوسف عليه السلام

التاريخ : 16:23:35 30-08-2020

المصدر : شبهات المشككين في
الإسلام

المؤلف : مجموعة مؤلفين

نص السؤال

ادعاء وقوع السرقة من يوسف عليه السلام

خاتمة الجواب

ادعاء وقوع السرقة من يوسف عليه السلام(*)

مضمون الشبهة:

يزعم بعض المتوهمين أن يوسف - عليه السلام - قد سرق، ويستدلون على ذلك بقول إخوته:

(قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)

(يوسف: 77)

إذ أطلقوا لسانهم بهذا حينما دبر يوسف - عليه السلام - مع أخيه حيلة استبقائه بادعاء أنه سرق، فقالوا: إن كان سرق بنيامين فقد سرق أخوه يوسف - عليه السلام - من قبل، ويتساءلون: إذا كان يوسف لم يسرق فلماذا لم يكذب إخوته فيما ادعوه ويدفع عن نفسه هذه التهمة؟ وهم بذلك يشكون في عصمة يوسف عليه السلام □

وجها إبطال الشبهة:

1) اتهام إخوة يوسف - عليه السلام - له بالسرقة لا أساس له من الصحة، وإنما كان بدافع الحسد والرغبة في الانتقام من شأنه، وما رواه بعض المفسرين من سرقة صنم جده - أبي أمه - وكسره، إسرائيليات، وحتى لو افترضنا صحة هذه الأخبار فليس ذلك

سرقة يمكن أن تصم [1] يوسف وتحط من شأنه □

(2) اتصف يوسف - عليه السلام - بالحلم والعفو؛ لهذا كتم غيظه واكتفى بتكذيب إخوته على سبيل التلميح لا التصريح؛ وقد كانت الحكمة تتطلب ألا يكشفهم بحاله في هذا الوقت □

التفصيل:

أولاً □ ما وقع من يوسف - عليه السلام - لم يكن سرقة، ولكن إخوته عدوها سرقة للانتقاص من شأنه كيدا وحسدا:

بداية نشير إلى أن بعض المفسرين قد تناقلوا روايات عدة عن أهل الكتاب في سرقة يوسف - عليه السلام - وهي روايات لا سند لها، وعلى فرض صحتها فهي لا تحمل معنى السرقة الحقيقي، ومن هذه الروايات التي فندها □ محمد أبو النور الحديدي:

روي عن مجاهد قال: كان أول ما دخل على يوسف - عليه السلام - من البلاء فيما بلغني أن عمته بنت إسحاق، وكانت أكبر ولد إسحاق - عليه السلام - وكانت إليها منطقة إسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر، فكان من أختانها من وليها كان له سلما لا ينازع فيه يصنع فيه ما شاء، وكان يعقوب - عليه السلام - حين ولد له يوسف - عليه السلام - قد كان حضنته عمته، فكان معها واليها، فلم يحب أحد شيئا من الأشياء حبها إياه □ حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ووقعت نفس يعقوب عليه، أتاها، فقال: "يا أختة أسلمي إلى يوسف - عليه السلام - فوالله ما أقدر أن يغيب عني ساعة" فقالت: فوالله ما أنا بتاركته فدعه عندي أيما أنظر إليه وأسكن عنه لعل ذلك يسليني عنه أو كما قالت، فلما خرج - عليه السلام - من عندها عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف - عليه السلام - من تحت ثيابه، ثم قالت: فقدت منطقة أبي - إسحاق - فانظروا من أخذها، ومن أصابها فالتمست، ثم قالت: اكشفوا أهل البيت، فكشفوهم، فوجدوها مع يوسف - عليه السلام - فقالت: والله إنه لسلم لي أصنع فيه ما شئت، وأتاها يعقوب - عليه السلام - فأخبرته الخبر، فقال لها: أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع عند ذلك، فأمسكته فما قدر عليه يعقوب - عليه السلام - حتى ماتت [2].

• وقال سعيد بن جبير عن قتادة: سرق يوسف - عليه السلام - صنما لجده - أبي أمه - من ذهب وفضة - كسره، ثم ألقاه في الطريق، فعيّره بذلك إخوته [3].

• وقال مجاهد: إن سائلا جاءه يوما، فأخذ بيضة فناولها إياه □

• وقال سفيان بن عيينة: أخذ دجاجة وأعطاهما السائل □

• وقال وهب: كان - عليه السلام - يخبئ الطعام من المائدة للفقراء، وقيل غير ذلك □

• وعلي أي من هذه الأقوال فيوسف - عليه السلام - لم يسرق في الحقيقة، ولا شيء مما ذكر يعود عليه بالذم والانتقاص [4]، هذا إذا افترضنا صحة هذه الأقوال التي نقلها المفسرون عن أهل الكتاب، أما إذا افترضنا عدم صحتها فإن المتفق عليه أن يوسف - عليه

السلام - ليس له سرقة من قبل، وإنما قال إخوته: "قد سرق أخ له من قبل" بهتاناً ونفياً للمعرة عن أنفسهم، فإنهم لما بهتوا [5]

بوجود الصواع في رحل أخيهم اعتراهم [6] ما يعتري المبهوت، فاعتذروا بدعوى تنزههم عن السرقة، إذ قالوا - قبل ذلك: "وما كنا

سارقين" عذرا بأن أحاهم قد تسربت إليه خصلة السرقة من غير جانب أبيهم، فزعموا أن أخاه الذي أشيع فقده كان سرق من قبل،

وقد علم فتیان يوسف - عليه السلام - أن المتهم أخ من أم أخرى، فهذا اعتذار بتعريض بجانب أم أخويهم وهي زوجة أبيهم وهي

راحيل ابنة لابان خال يعقوب عليه السلام [7].

وكانهم بهذا أرادوا أن يقولوا: إنا لسنا على طريقة بنيامين هذا في السرقة، وإنما هو وأخوه يوسف المختصان بها؛ لأنهما من أم أخرى، وهذا الدافع لإخوة يوسف أن يقولوا ما قالوا لا يعفيهم من مسئولية التجني على يوسف - البريء - والافتراء عليه أخيرا بعد أن كذبوا أولا في قولهم لأبيهم: (يوسف) (17) كذبوا ثانيا في أمر الدم الذي وضعوه على القميص:

(وجاءوا على قميصه بدم كذب)

(يوسف: 18) [8].

وعليه فما يدرينا أنهم كانوا صادقين في قولهم هذا، فربما يكونون قد كذبوا في هذه المقالة أيضا، كما كذبوا على أبيهم من قبل □

ثانياً □ الحكمة تقتضي عدم تصريح يوسف - عليه السلام - بتكذيب إخوته فيما نسبوه إليه من السرقة:

سبق أن بينا أن يوسف - عليه السلام - لم يكن له سرقة من قبل كما زعم إخوته، وهنا يثار سؤال: إذا كان إخوة يوسف - عليه السلام - قد كذبوا في قولهم: "إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل" فلماذا لم يدافع يوسف عن نفسه وينفي هذه التهمة التي رماه بها إخوته؟ ولماذا لم يكشفهم بحاله ويبين لهم زيف دعوهم؟

ونحن نجيب على هذا السؤال قائلين: ليس صحيحا أن يوسف - عليه السلام - قد أقر إخوته على اتهامهم له بالسرقة، بل إنه - عليه السلام - قد كذبهم في ادعائهم هذا، وقد جاء هذا التكذيب على سبيل التلميح والتعريض لا التصريح في قوله سبحانه وتعالى:

(فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون)

(يوسف: 77)

فهذا الكلام قابل للحمل على معنى: أنكم شر حالة من أخيكم هذا والذي قبله؛ لأنهما بريئان مما رميتموهما به، وأنتم جائرون عليهما إذ قذفتن أولهما في الجب، وأيدتم تهمة ثانيهما بالسرقة وهو بريء منها، ثم ذيل كلامه بجملة (والله أعلم بما تصفون) وهو كلام جامع، أي: الله أعلم بصدقكم فيما وصفتم أو بكذبكم، والمراد: أنه يعلم كذبهم فيما ادعوه □

أما لماذا لمح - عليه السلام - لإخوته بكذبهم ولم يصرح لهم، فذلك لحلمه - عليه السلام - وعظيم عفوه، وكظمه للغیظ، فلم يظهر لإخوته غضبا أو انتقاما، أو حتى مجرد زجر عن قولهم، بل بالغ في كتم غيظه (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) (يوسف: 77)

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فلم يشأ يوسف - عليه السلام - أن يكشف إخوته بحاله ويأمرهم بجلب أبيهم في ذلك الوقت: إما لأنه خشي إن هو تركهم إلى اختيارهم أن يكيدوا لبنيامين فيزعموا أنهم يرجعون جميعا إلى أبيهم، فإذا انفردوا ببنيامين أهلكوه في الطريق، وإما لأنه قد كان بين القبط [9] وبين الكنعانيين في تلك المدة عداوة فخاف إن هو جلب عشيرته إلى مصر أن تتطرق إليه وإليهم ظنون سوء من ملك مصر، فتريث إلى أن يجد فرصة لذلك، وكان الملك قد أحسن إليه فلم يكن من الوفاء له أن يفعل ما يكرهه أو يسيء ظنه، فترقب وفاة الملك أو السعي في إرضائه بذلك، أو أراد أن يستعلم من أخيه في مدة الانفرد به أحوال أبيه وأهله لينظر كيف يأتي بهم أو ببعضهم في الوقت المناسب [10].

الخلاصة:

ليس صحيحا أن يوسف - عليه السلام - قد سرق من قبل كما زعم إخوته، بل كان قولهم هذا كذبا وافتراء عليه، دفعهم إليه الحسد ومحاولة الانتقاص من شأنه، أما ما نقله بعض المفسرين من أقوال عن بعض الإسرائيليات سواء كانت هذه الأقوال صحيحة أم ضعيفة - فهي لا تصح أن تكون دليلا على سرقة يوسف عليه السلام

• اتصف يوسف - عليه السلام - بالحلم والأناة [11] والحكمة، فلم يصرح بتكذيب إخوته، بل اكتفى بالتعريض بهم، وأسر قولهم في نفسه، إذ رأى أن الحكمة في تأخير إخبارهم بكونه أخاهم - يوسف - الذي ألقوه في الجب قبل ذلك

المراجع

1. (*) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1399هـ / 1979م

2. تصم: تعيب

3. أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (16/ 197، 196) تفسير سورة يوسف، آية (77)، برقم (19605).

4. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، تفسير سورة يوسف (12666).

5. عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1399هـ / 1979م، ص 329، 330.

6. بهتوا: دهشوا وأخذوا بالحجة فتغير لونها

7. اعتراهم: أصابهم

8. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، د ت، مج 7، ج 13، ص 34.

9. عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1399هـ / 1979م، ص 330.

10. القبط: كلمة يونانية الأصل؛ بمعنى: سكان مصر، ويقصد بها اليوم: المسيحيون من المصريين

11. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، د ت، مج 7، ج 13، ص 34: 38 بتصرف

12. الأناة: الحلم والوقار